Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ رأى بعضهم أنها تعني موافقة الكلام الذي يوضح لمقتضى الحال؛ بمعنى آخر، تفترض أنَّ لكل مقامٍ مقالاً.

وعلى هذا، فإن المقولة السادسة، أي لكل مقام مقال، تكاد تختصر كل المقولات الأخرى تقريباً، ولا بد من أخذها في الاعتبار؛ وبناءً عليها نقول إن بلاغة الكلام هي «مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها».(٥٤)

وهكذا، فإن أحسن الكلام هو ما راعى حال السامعين، أي ما جاء بأفضل صورة تناسب حالهم، فلا يخاطب الأمير، مثلاً، كما يخاطب السوقيّ، ولا يخاطب الأديب ورجل الفكر كما يخاطب الجاهل.

ويجب هنا أن يراعى أمران: الأول المَقام، أي حال الخطاب، وهو «الأمر الحاصل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى»،(٥٥) مثلاً الهجاء من المهجوّ هو المقام، فإذا جاءت ألفاظه ساخرة، مضحكة لم يكن هذا غريباً. والأمر الثاني هو «الاعتبار المناسب» أي ما يقتضيه المقام، و«هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة».(٥٦)

فإذا أردت أن تمدح شخصاً، فأطنبتَ في كلامك على صفاته الحميدة جاء كلامك بليغاً ولم يكن بعيداً عن البلاغة بسبب الإطناب، بل على العكس لأن المدح يقتضي ذلك، وإلاّ عجزت على أداء ما تريد. فالمدح، في هذه الحال، هو المقام، ومدحك وإطنابك هما الاعتبار المناسب.

وخلاصة القول في هذا «أن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى يسمى «حالاً»، وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى «مقتضى»؛ والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال».(٥٧)

---

(٥٤) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٣

(٥٥) الموضع نفسه

(٥٦) الموضع نفسه

(٥٧) المرجع نفسه، ص ٣٤